

## المقامة العاشرة تسمى الندرومية

تتضمّن اخبار ابن عيسى انه باع النقط في سوق ندرومة و ما كان

صار له في تلمسان مع أحد البوليس

اخبرنا امحمد بن العربي قال كنت اجول من قطرب، في بلاد المغرب، وكنت وقتئذ مسافرا اقرا لوحتي، واصفي سلكتي، فلما حفظت المنزول، و وعيت المنقول، اشتاق قلبي نظرة الوطن، والارتكاض في العطن، فودعت الطلبة و استسمحت فقيهي للتسريح، و سدفت شغلي في الخنشة وشهرت للرجوع بالتصريح، فقطعت فيافي و مخايف، و رافقت عدّة مهايف واقتحمت مشايق السفر، و انقطاع السهر، الى ان وصلت بلاد ندرومة، و دخلتها عشية مسومة، و كانت تلك الليلة ليلة سوقها، و مجمع هلمامها، فبت ليلتي غريب، ليس لي قريب، فلما علم الخيط الابيض، قمت لاداء ماهو مفروض، الى ان شعشع النهار بضوئه، و اجتمع الهجيج بسوقه، و ديدن بمعموره من صياح ونهيق، و حسّ اميق، إذ سمعت برّاحا، بصوته فصّاحا، و هو يقول آشاري النقط، ان عندي تليّس مرابط، فاهممت بقول البرّاح، و لم استوعب فايذة التبراح، فلمحت الشخص الناطق، الى ان رايته يبصر مطابق، فاذا هو شيخنا ابن عيسى صاحب ابليس فعزمت لما رايته لملاقاته، و بعد السلام عليه اخذت أسأله، فمرّ بي الى فيطون عطار، و كان قد نصب عليه شبكة مطّار، فاجلسني خلفه، و قعد تنفّه، و قال لي خذ جواب سؤالك، و ما طلب مرامك، اني لما دخلت لهذه البلاد، تساريتها بالتمهاد، وكسرت انني لاستماع كلام اهلها، فوجدت نقطة القاف عندهم ممنوع منها، و أوّل ما شاهدته، وأغرب ما رأيت، اني مررت عن مسجد فسمعت طالبا يتلو القرآن، و يرتل بزعمه البيان، و هو يقول "كال كايل منهم لا تقتلوا يوسف و الكوه الخ" و مراده " قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف و ألقوه الخ"<sup>58</sup> و الثاني جزت عن مسجد و إذا بفقيه يملي على تلميذه وتلميذه يفتي له بقوله اسيدي كال فالحك والحك فيملي إليه

<sup>58</sup> القرآن، 10/12.

الفقيه بقوله أكل ولا أميز سوى كال فالحك و الحك و المراد بالآية " قال فالحق والحق أقول الخ"<sup>59</sup> قال ابن عيسى فلما رايت احتياج النقط للعالم و المتعلم، قمت ابرح لابيغ ما عندي من النقط الملتقم، قال ابن العربي فضحكنا و قلنا له و الله ما انت الا خزار، و اكبر دقاش و هرهار، ثم قلنا له زد كيّل لنا بصاع فمك، وزرنق لنا قصة من غرايب أسفارك، فشئف متبسّما، و نطق متكّما، و قال ما رايت ما اخبركم به، و احكي لكم عليه، الا ما طرى لي اول الأمس بتلمسان مع أحد البوليسي من أهل الطغيان، و هو كنت أجول عشية بدرج اجراكة، و بلغتي تهرفت كمشي الابراكة، اذ لقيت عجوزا كنت اعرفها في بلاد اهلها، فلما لمحنتها سلّمت عليها، ثم سألتها عن احوالها و ما جرى في اوطانها، فقالت لي ألم تعلم بحبيبتك الفحجا، العوجا العرجا، انها في دار القرغلان، ساكنة بالأمان، فقلت لها ألك في الوصول اليها قالت نعم، إذا تمكّني ما عندك من دراهم، فنقّدتها جميع ما عندي في الحال، كما ينقّد في مال حلال، فمشيت قدّامي الى ان دخلت دارا مصونة، باصطاحها مدورة، فناظرتها حتّى خرجت، و اوعدنتي وضحكت، و قالت انها مسلمة عليك، و قايلة اليك، ارجع غدا صباحا عند هذا الباب، فانها تلقاك بلا مشقة ولا اتعاب، ففرحت بذلك و شكرت صنعها، و لم أعلم ان ذلك حيلة و مكر على نصبتها، فلما فارقتها بت طول ليلتي، مسامرا مع رفقتي، و كنّا تلك الليلة عدّة اهل الكهف، و لم اتحقّق قريبا من الألف، الى ان ترخّمت العيون، وصممت اللسون، غضنا في النوم حتّى اصبح الحال، و تهيأ كل طالب للمنال، قمت للوعد المعلوم، عند الباب المشوم، فلما وصلته بقيت أدور عليه، أمشي و أرجع اليه، اذ بعجوزة رقت عليّ من الصطح، فلما رأيتها قلت في نفسي هذا باب الفتح، فلما تحقّقتها بعيونتي، التي غدرتني و اخذت دريهمتي، ثم انها كلمتني بصوت فضيح، وكلام قبيح، و قالت ما حاجتك هنا يا شيبية الكلب، وانطلقت عليّ جميع انواع السب، فبقيت متحيّرا، و ارادف الزفرات مغيرا، ثم اني ظهر لي بأن اشتكي بها، واعلم الحاكم

<sup>59</sup> القرآن، 84/39.

عليها، و على غدرها، ثم اهبطت الى بيروا الكمساريات، لاجعل دعوتي من جملة الشكايات، فلما وصلت للحكومة لم أجد سوى أحد البوليس، متزعبلا في هيئته كأنه تليس، و لابسا قاطا مرشوشا، و متعما طربوشا، و هو جالس على كرسي، و قابض سبسي، و جاعل ركبة على ركبة، و قدّامه فنجال من القهوة، فلما هويت نحوه، و دخلت عنده، خفّ في القيام واجلالا اليّ، و بادر بالمصافحة عليّ، و كلّمني بأدب حديث، و لم يعلم انني خبيث، و قال لي ما حاجتك عندنا يا فقيه، ان لك حاجة تقضى بتتبيه، فلما رأيت منه ذلك الإحسان، و غاية الترحّب بلا امان، اختلس قلبي بالتخميم، و كأنني اشرفت للتنديم، و قلت في قلبي ان ابحت له دعوتي، انتقصت حرمتي، و ان اكنمت عليه سرّي، تحير من أمرّي، و قد طال معي البحث، ولم يسعف بالاقالة للبت، و أنا أقول له إنّي أريد ان أتكلّم مع الحاكم نفسه، لانظر بطشه و حكمه، و هو يقول لي يا سيدي إن الحاكم لا زال لم يقدم، وأنا ان شاء الله أقضي لك ما انت به مهتم، و اكدني حتّى خلته صديقا، و ان يكون لي رفيقا، فقلت له اسمع يا أخي، جمعك الله مع الأواخي، اني كنت بالأمس أدور، إذ لقيت عجوزا تدور، فالتقيتها لاتخذها معاونة، إذ بها خاينة، فزبلحتني حتّى أخذت دراهمي، و تركتني مغموما بهمّي، قال ابن عيسى، البسه الله الخنتريسى، فلما سمع كلامي ذلك البوليس، ارتكب طبعه بالنتحيس، ثمّ تبدّل لونه، و اصفرّ وجهه، و قال لي اذهب يا دين النوم، يا ابن الزنى و العموم، اتغلطونا حتّى نحسبكم فقها، و انتم سفها، و اعانني بدبزة و ركلة، و نهضة عاصفة و صفقة، فما برحت اذ سقرت العتبة درجتين، و انا في غير عقل اخطو في الخطوة خطوتين، و قد هبطت مع الدرب، منهذرا كالدب، و لا اسمع الا الكلب ابن الكلب، و كثير ما يلحقني من انواع السب، الى ان درفت في الزقاق، و نجست بين الاستباق، و قد خرجت من تلمسان، صافق اليدان، قال المخبر بهذه الحكاية فلما سمع ذلك صاحب الفيطون، و هو العطار المشطون، نفر منه كما ينفر البغل الهيباب، عند رؤيته للاجمال ملوبين الرقاب، و قال له عهدي بك تقيا لايقا، اذ بك عاصيا فاسقا، اخرج من عندي لا اسعد الله يومك، و لا اريح من يلقاك، فاغتاظ ابن عيسى و قام واقفا، و تكلم

متبهرا عانفا، و قال له أتقذفني بالعصيان يا عطار يا عكار، يا بياع الحنّة و زغب الفار،  
انت أقبح قرارة، و احزر مرارة، فو الذي البسني بالأدب النقي، و اغطسك في الزيوت و  
الادم الشقي، فلاحضرتك مجلس الحكم، و لاحكمّن عليك بالإساءة و الذم، ثم التفت الي و  
قال لي يا بن العربي انظري هاهنا، و لا تتري حتى تنتظر ما يطري، و انطلق الخفّ،  
حتّى غاب في الزحف، وبقينا ننظر ما يمطر من غيمه، و اذ به كرعذ زقلم و جاز بريحه،  
فاستنيتّه حتّى افترق السوق، و ذهب السأيق و المسوق، فتحققت انه فلت و انقبس،  
فانقلبت الي موضعي و قطعت من جرّته الايس.